جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Volume 10, Issue 4, Dec 2024

الإصدار العاشر، العدد الرّابع، ديسمبر 2024

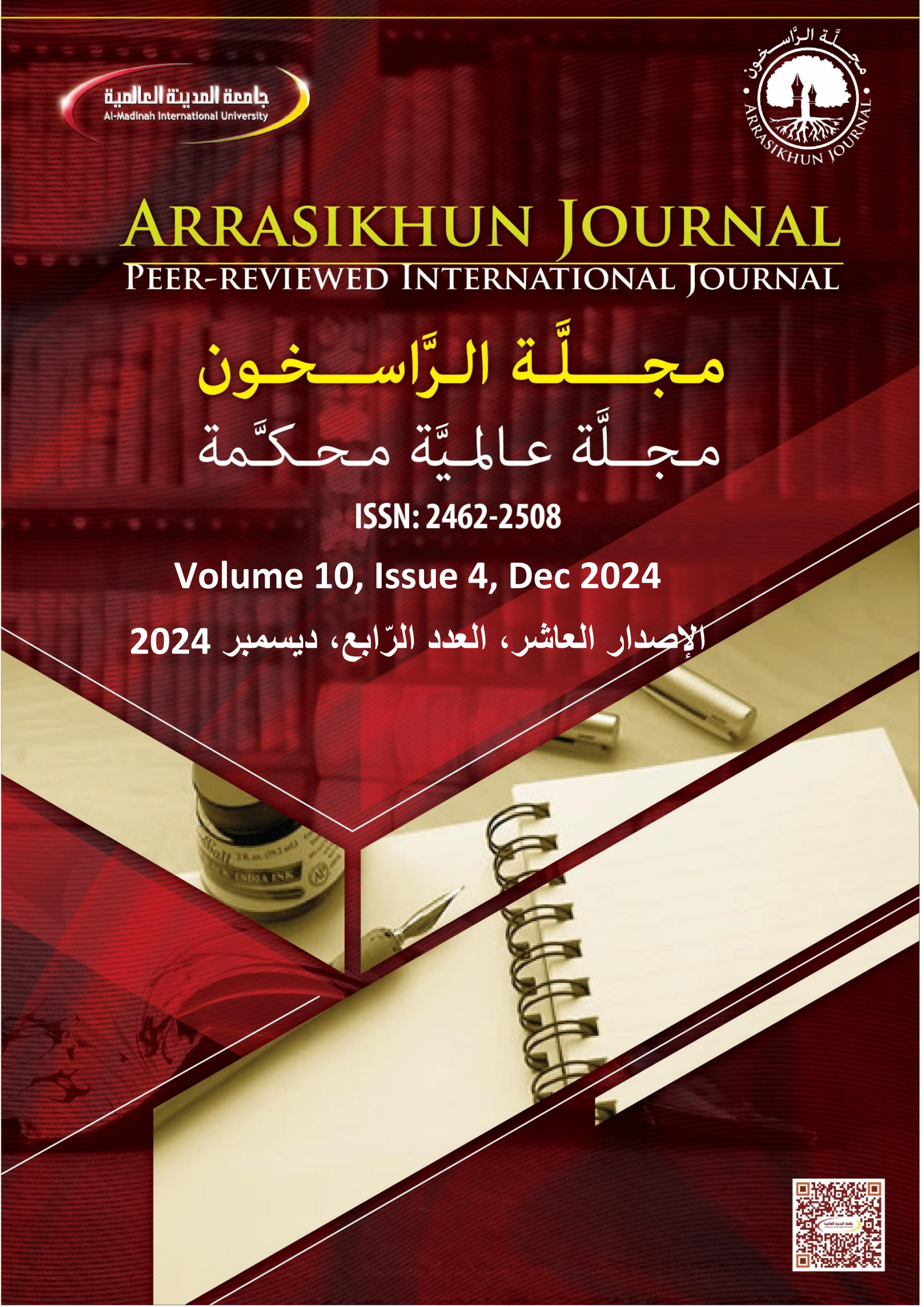

مجلة الرّاسخـــون

مجلة عالمية محكّمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار العاشر، العدد الرّابع، ديسمبر 2024

أولًا: الدّراسات الإسلامية	
البحث	صفحة
1- التزكية في ضوء سورة الإنسان دراسة تحليلية	36-1
2- المسائل العقدية الواردة في حديث "إن رحمتي غلبت غضبي"	60-37
3- رحلة الإمام الداني المشرقية-الشيوخ والأثر	83-61
4- آيات الأطعمة والأشربة المذكورة في القرآن الكريم والقراءات الواردة فيها جمعًا ودراسة	106-84
5- إجماع القُرّاء عند ابن مهران في كتابه المبسوط جمعاً ودِراسةً وتوجيهًا.....	129-107
6.مهارة التّفويض في سيرة النبي ﷺ (الهجرة النبوية أنْمُوذَجًا).....	146-130
7. القـــراءات الواردة في سورة يس من خلال تفسير نظّام الدين النّيسابوري ت(850هـ) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" (دراسة تحليلية)	170-147
8. انفرادات طبعات مصاحف المغاربة عن طبعات مصاحف المشارقة من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الجاثية.	198-171
9- وسائل المحافظة على الأخلاق في ضوء سورة النور (دراسة موضوعية تحليلية).....	216-199

ثانيًا: الدّراسات اللّغوية	
البحث	صفحة
10. التّوجيه النّحوي للقراءات في الأسماء في سورتي (يونس وهود) من خلال كتاب "فتح البيان في مقاصد القرآن" للإمام صدِّيق حسن خان (ت:1307هـ).....	244-217

ثالثًا: الدّراسات التّربوية	
البحث	صفحة
11- حضانة مؤسّسات الرّعاية الاجتماعيّة للأطفال فاقدي الرّعاية الوالديّة بقوة القانون دراسة مقاصدية، مقارنة بين النظام السويدي والنظام السعودي	263-245

رابعًا: الدّراسات الإدارية والمالية	
البحث	صفحة
12. هندسة الحوكمة في تقليل مخاطر السيولة المصرفية دراسة ميدانية علي بنك فيصل الإسلامي للفترة (2013 م – 2023م)	287-264

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

رئيس هيئة التّحرير : الأستاذ الدّكتور / داود عبد القادر إيليغا

مدير هيئة التّحرير: الأستاذ المساعد الدّكتور سامي سمير عبد القويّ

نائبة مدير هيئة التّحرير:

الأستاذة المشاركة الدكتورة/ عايدة حياتي بنت محمد سند

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكّمو أبحاث العدد (حسب التّرتيب الأبجدي):

- الأستاذ المشارك الدّكتور/ إبراهيم بيومي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم تويالا
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ باي زكوب عبد العالي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ السّيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التّواب سعداوي سيد
- المساعد الدكتور/ محمّد أحمد عبد الحميد طايل
  المساعد الدكتور/ محمّد أحمد إسماعيل عيسى
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ عبد الرّحمن حسانين
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ محمّد الشّرقاوي
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ محمّد البساطي
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ محمّد صلاح الدين أحمد فتح الباب
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ مهدي عبد العزيز
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ وليد علي الطنطاوي
- الأستاذ الدكتور/ يوسف محمّد عبده محمد العواضي

Arrasikhun Journal, Volume 10, Issue 4, December 2024

ISSN: 2462-2508

التزكية في ضوء سورة الإنسان- دراسة تحليلية

Soul-Purification according to Surah Al-Insan: Analytical Study

الأستاذ المشارك الدكتور سامية عطية الله المعبدي

أستاذ التفسير المشارك بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى

Email: samoabady@uqu.edu.sa

ملخص البحث

مما عني به القرآن الكريم النفس الإنسانية؛ ذلك أنها مناط التكليف، فأبان في نصوصه ما يكون من شأنه الرقي بهذه النفس، والسمو بها، وبلوغها ما وعدته في الآخرة من النعيم. من هنا جاء هذا البحث والذي تناول بالبيان تزكية النفس الإنسانية في ضوء سورة الإنسان، بهدف التعريف بالتزكية، والوقوف على مدى أهميتها. والكشف عن سبل تزكية الإنسان نفسه من خلال آيات السورة للعلم بما يدفعه إليها، والوسائل التي يحقق بها تلكم التزكية. هذا وقد اتبعت في تحقيق تلك الأهداف المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي. ومن أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث الحاجة الماسة إلى تزكية النفس لا سيما في هذا الزمن، وأن من أعظم ما يدفع الإنسان إلى أن يزكي نفسه إيمانه بالآخرة، وعلمه أن الجزاء فيها من جنس العمل. وأن هناك سبلًا عدة يمكن سلوكها لتزكية النفس منها الإيمان، والعمل الصالح، والعلم النافع، كذا الاهتداء بهدي النبي عليه الصلاة والسلام، والاتعاظ بمواعظ القرآن.

الكلمات المفتاحية: تزكية، سورة الإنسان، النفس، يزكي.

ISSN: 2462-2508

Abstract

The Holy Qur'an is concerned with the human soul; it is the subject of obligation, so its texts clarified what would elevate this soul and achieve the bliss it was promised in the Hereafter. Hence, the current research discussed the purification of the human soul according to Surat Al-Insan to define purification, a show its importance, reveal the ways of purifying the human soul through the verses of the Surah to know what drives him to it, and list the way through which he can achieves that purification. To achieve these objectives, I adopted the inductive, analytical, and deductive methodologies. One of the most prominent findings reached by the research is the urgent need to purify the soul, especially at this time. One of the greatest things that motivates a person to purify himself is his belief in the afterlife and his knowledge that the reward in it matches the deed. Several ways can be taken to purify the soul, including faith, good deeds, beneficial knowledge. To be well guided, a person must follow the example of the Prophet, peace and blessings be upon him. Finally, one should learn from the lessons of the Qur'an.

Keywords: Purification - Surah Al-Insan - The Soul - Purifies.

ISSN: 2462-2508

مقدمة البحث

الحمد لله أحمده وأ ستعينه وأ ستهديه، وأ شهد أن لا إله إلا هو، وأن محمدًا عبده ور سوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وبعد، فإن من عظيم منة الله تعالى على عباده أن أر سل إليهم الر سل يبلغونهم ر سالة ربهم، ويكونون لأقوامهم قدوة إذ الاقتداء أســـاس الاهتداء، وأنزل معهم الكتب م شتملة على الهدى، متضمنة مقاصد عظمى، وغايات كبرى؛ ولما كانت التزكية هي المق صد الأسمى الذي يريده الله لعباده في هذه الدنيا، وهي منتهى ما بعث الله لأجله رســـله، وخلا صة ما ضمنه شرائعه آثرت الكتابة حول هذا المو ضوع، واخترت سورة سماها الله تعالى با سم المأمور بالتزكية ألا وهو الإن سان، إذ لا ريب أن الله تعالى بيّن له في ثنايا تلك الســـورة ما يرضـــي به الرحمن، ويبلغ به أعلى الجنان، ويقيه من عذاب الملك الديان، من هنا جاء هذا البحث الذي سميته (التزكية في ضوء سورة الإنسان).

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الكشف عن دوافع التزكية، والسبل التي يسلكها الإنسان لتزكية نفسه من خلال ما ورد في سورة الإنسان من آيات.

أسئلة البحث:

يهدف البحث إلى إجابة الأسئلة التالية:

1- ما المقصود بتزكية النفس وما أهميتها في الإسلام؟

2- ما دوافع التزكية في ضوء سورة الإنسان؟

3- ما وسائل التزكية الواردة في سورة الإنسان؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1- التعريف بالتزكية، والوقوف على مدى أهميتها.

2- التعريف بسورة الإنسان، والوقوف -من خلالها- على الدوافع التي تدفع العبد إلى تزكية نفسه.

3- الكشف عن وسائل التزكية الواردة في سورة الإنسان.

أهمية المو ضوع وأ سباب اختياره: ترجع أهمية هذا الموضوع إلى الأسباب التالية:

- التزكية أحد المقا صد التي جاء بها القرآن الكريم، وأولاها اهتمامه وعنايته.

- تنوع ســـبل التزكية في القرآن الكريم، بتنوع دوافعها، ووسائلها.

-الحا جة الملحة في هذا الزمن ا لذي ندرت فيه الربانية، وتدنت فيه القيم الخُلُقية إلى تزكية النفس.

-فلاح العبد ونجاته و سعادته مرهون بتزكيته نف سه وتطهيرها من كل ما يدنسها ويدسيها.

حدود البحث: سورة الإنسان

الدراسات السابقة: لم أقف -في حدود بحثي- على درا سة تناولت مو ضوع التزكية من خلال سورة الإنســـان، إلا أن هناك بعض الدراســـات العامة في موضوع التزكية منها:

-منهج الإســـلام في تزكية النفس، وأثره في الدعوة إلى الله، أ. أنس كرزون، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لكلية ا لدعوة وأصـــول ا لدين بجامعة أم القرى، 1995م، ألقى فيها الباحث نظرة عامة على النفس الإنسانية و صفاتها، وموقف الديانات الو ضعية منها، والأســـاليب العلمية في تزكية النفس، ومعو قات التزكية، وعلاج ذلك.

ISSN: 2462-2508

-تزكية النفس في ميزان الشريعة الإسلامية، أ. صالح الهاشم، مجلة القلعة، العدد 19، 2022م وفيه تناول الباحث الحديث عن النفس وبيان أنواعها، ثم عرف التزكية، وذكر وسيلتين لتزكية النفس هما العلم النافع والعمل الصالح، وخص منه أركان الإسلام الخمس.

-تزكية النفس بين العقيدة والسلوك "الخوف والرجاء أنموذجًا"، أ. سعدية أبو زوعة. وهو بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، المجلد 35، العدد3، عام 2023م. وفيه وضحت الباحثة العلاقة بين تزكية النفس من الناحية العقدية والناحية السلوكية، وإبراز أثر قيمتي الخوف والرجاء في تزكية النفس عقيدة وسلوكًا.

-تزكية النفس من خلال نصوص القرآن والسنة، د. حنان محمد فضل المولى، مجلة معالم الدعوة الإسلامية المحكمة، 1441ه. تناولت الباحثة من خلاله تعريف التزكية، ذاكرة أهدافها، مبينة جزاءها في الدنيا والآخرة.

وهذه الدراسات عنيت بموضوع التزكية بوجه عام، ولم تقصد إلى ما قصد إليه هذا البحث من توظيف سورة الإنسان واستنباط ما يتعلق بموضوع التزكية من خلال آياتها، وذلك بذكر ما حوته السورة من دوافع تدفع العبد إلى أن يزكي نفسه، وما أشارت إليه من وسائل التزكية.

منهج البحث: سأتبع في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي ويظهر من خلال استقراء آيات السورة للوقوف على الآيات ذات الصلة بموضوع التزكية، كذا المنهج التحليلي والاستنباطي وذلك من خلال دراسة آيات السورة دراسة تحليلية، واستنباط ما ورد فيها من آيات تبين سبل تزكية النفس، سواء من حيث دوافع التزكية، أم وسائل تحقيقها.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة ففيها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

والمبحث الأول: التعريف بالتزكية، وبيان أهميتها، والتعريف بسورة الإنسان وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التزكية لغة واصطلاحًا، وبيان أهميتها.

المطلب الثاني: التعريف بسورة الإنسان.

والمبحث الثاني: سبل التزكية في سورة الإنسان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دوافع التزكية

المطلب الثاني: وسائل التزكية

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، يلي ذلك ثبت بأهم المصادر. ومن ثم فإني أسأل الله تعالى التوفيق فيما أقصد إليه، والعون على ما يرضيه، وأن يجعل هذا العمل صالحًا خالصًا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: التعريف بالتزكية، وبيان أهميتها، والتعريف بسورة الإنسان.

المطلب الأول: تعريف التزكية لغة واصطلاحًا، وبيان أهميتها.

ISSN: 2462-2508

التزكية لغة: مصـــــدر زكا يزكو زَكاءً وزُكُوًّا، والزكاء ممدود: النماء والريع، وكلُّ شيءٍ ازداد ونما فهو يزكو زَكاءً. والزكاة: الصلاح، يقال رجل تقي زكي أي صـــــالح، والجمع أزكياء. وزكاة المال: تطهيره ونماؤه، والفعل منه: زكّى يزكّي تزكية إذا أدّى عن ماله زكاته.[1]

اصطلاحًا: عرفت التزكية بأنها "إصلاح النفوس وتطهيرها عن طريق العلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات."[2] وبأنها "التنمية والتطهير، والسمو بالنفس إلى بارئها، وإبعادها عن الشر والمحافظة على فطرتها."[3] وبالنظر إلى التعريف اللغوي للتزكية نجد أن مادة الكلمة تدور حول معنيين هما النماء والزيادة، وكذا التطهير، وكلاهما ملحوظ في معنى التزكية اصطلاحًا كونها تشمل أمرين، أحدهما تطهير النفس من أدران الذنوب والمعاصي وتنقيتها من الرذائل. والآخر تنميتها بالأوصاف الحميدة، وتحليتها بالفضائل وطيب الشمائل، يقول ابن تيمية (ت:728ه): "وأصل الزكاة الزيادة في الخير، ومنه يقال: زكا الزرع، وزكا المال إذا نما، ولن ينمو الخير إلا بترك الشر، والزرع لا يزكو حتى يزال عنه الدغل، فكذلك النفس، والأعمال لا تزكوا حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيًا إلا مع ترك الشر."[4] وقد وردت تزكية العبد نفسه في القرآن الكريم في موضع الحث عليها تارة بتقرير فلاح فاعلها كقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:14] وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:9] أي أفلح من عمل عملًا صالحًا تزكو به نفسه. قال ابن الجوزي (ت:597ه): "قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وصالح الأعمال. قاله قتادة، وابن قتيبة."[5] وتارة بالإخبار أن من زكّى نفسه فإن تزكيته "يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء"[6] قال عز وجل ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [من فاطر:18]. أما ما ورد في قوله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:49]، وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النجم:32] فالمراد النهي عن مدح الإنسان نفسه بحسن العمل، وأن يشهد لها بالبراءة من الذنوب والصلاح والتقوى تأديبًا؛ لقبح ذلك شرعًا وعقلًا. يقول الزمخشري (ت538ه): "إعلام بأن تزكية اللّه هي التي يعتدّ بها، لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية."[7] وقال القرطبي

(1) انظر الخليل بن أحمد، كتاب العين، (394/5)؛ الأزهري، تهذيب اللغة، (175/10)

(2) آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، معالم في السلوك وتزكية النفوس، ص57

(3) النحلاوي عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص139

(4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (629/10)

(5) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، (451/4)

(6) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص687

(7) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (553/1)

ISSN: 2462-2508

(ت:671ه): "يقتضي الغض من المزكي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المزكّى من حسنت أفعاله وزكّاه الله –عزوجل– فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له."[1]

ومما يبين أهمية التزكية ما يلي: –إقسام الله ﷻ على أن فلاح العبد منوط بتزكيته نفسه، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:7-10] وتقريره فلاح من تزكى بقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:14] أي أفلح من زكّى نفسه فنمّاها وأعلاها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف، وخاب مَن دسّاها فنقصها وأخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي. قال الطبري (ت:310ه): "قد أفلح من زكّى الله نفسه، فكثّر تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال."[2] وسواء أسند فعل التزكية إلى العبد، أم إلى الله تعالى؛ فالمعنيان يلتئمان باعتبار أن الذي يعمل بطاعة ربه ﷻ ويجاهد نفسه على ذلك، ويكفها ويزجرها عما حرم الله؛ لا يتحقق له مطلوبه إلا بتوفيق الله تبارك وتعالى.[3] ورأس الفلاح الفوز بالجنة والنجاة من النار، فلا غرو أن جعل الله سبحانه جزاء التزكية الدرجات العلى من الجنة قال تعالى ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:75-76]

– كون التزكية مقصود بعثة الرسل عليهم السلام، فإنه لما دعا إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهما السلام– الله أن يبعث في ذرية إسماعيل رسولًا؛ كان مما علّلا به دعوتهما أن الرسول يزكي الناس المبعوث فيهم؛ فيطهرهم من الرذائل والأخلاق السيئة، وأعظمها الشرك بالله، وينمي في نفوسهم الإيمان والأخلاق الكريمة قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:129] وقد استجاب الله دعوة خليله إبراهيم عليه السلام فأرسل نبيه محمدًا ﷺ، وذكّر الله العباد بمنته عليهم أن بعثه فيهم، وكان فيما جاءهم به من الوحي في الكتاب والسنة تزكية نفوسهم وتطهيرها

(1) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (246/5)

(2) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (457/24)

(3) في معنى الآية قولان، الأول: أن المزكّي هو الله سبحانه، أي: أفلحت نفس زكاها الله، وهذا قول ابن عباس، ومقاتل، والفرّاء، والزجّاج، والطبري، يشهد له قوله ﷺ "اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وزكها أنت خير من زكاها". الثاني: إسناد الفعل للنفس، وهو قول الحسن وقتادة ورجح هذا القول ابن القيم –رحمه الله– من ثلاثة وجوه، أحدها: باعتبار المعهود من طريقة القرآن، وهي تعليق الفلاح على فعل العبد واختياره. الثاني: أن فيه زيادة فائدة، وهي إثبات فعل العبد وكسبه، وما يثاب وما يعاقب عليه، وفي قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ إثبات القضاء والقدر السابق، فتضمنت الآيتان هذين الأصلين العظيمين، وهما كثيرًا ما يقترنان في القرآن. الثالث: أن هذا القول يستلزم القول الأول لا العكس، فإن العبد إذا زكّى نفسه ودسّاها، فإنما يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسّيها بعد تدسية الله لها بخذلانه، والتخلية بينه وبين نفسه، بخلاف ما إذا كان المعنى على القدر السابق المحض، لم يبق للكسب وفعل العبد ها هنا ذكر البتة. انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، ص24؛ الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، (267/3)؛ الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، (332/5)؛ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (457/24).

ISSN: 2462-2508

فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:164]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2][1] قال ابن كثير (ت:774ه): "يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم، وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم."[2] كذا كانت التزكية مضمون دعوة موسى عليه السلام لفرعون قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات:18-19] قال ابن عاشور (ت:1973ه): "حثّه على أن يستعد لتخليص نفسه من العقيدة الضالة التي هي خبث مجازي في النفس فيقبل إرشاد من يرشده إلى ما به زيادة الخير فإن فعل المطاوعة يؤذن بفعل فاعل يعالج نفسه ويروضها إذ كان لم يهتد أن يزكي نفسه بنفسه؛ ولذلك أعقبه بعطف (وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ)"[3]

– التلازم التام بين الاعتقاد والسلوك، فما يصدر عن العبد من قول أو فعل –حسنًا كان أم قبيحًا– إنما هو ترجمان لما في القلب يقول ابنُ تيمية –رحمه الله–: "إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة، كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان، فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة."[4] ويقول الشاطبيُّ (ت:790ه): الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن، فإذا كان الظاهرُ منخرماً أو مستقيماً حُكم على الباطن بذلك.[5] من هنا جعل الشرع الأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة دليلًا على وجود الإيمان وكماله، ومن ذلك قوله تعالى﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:18] قال القرطبي: "دليل على أن الشهادة لعمار المساجد بالإيمان صحيحة؛ لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها."[6] وقوله عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ

(1) يلحظ في الآية الأولى والتي ذكر سبحانه فيها دعاء إبراهيم تقديم التعليم على التزكية، مما يدل على أن التعليم والتبيين هي وظيفة الرسل عليهم السلام، والتزكية تابعة له؛ فينبغي ألا يشغلهم حصول التزكية من عدمه؛ إذ أنها ليست بمقدورهم، إنما هي بيد الله يؤتيها من يشاء ويمنعها عمن يشاء. بينما في الآيتين التي منّ الله فيهما ببعثة النبي قدم التزكية على التعليم، لأن زكاة النفوس وطهرها إنما هو من عمل الله سبحانه وحده كما دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:21]. وقيل: قدم التزكية على التعليم، وفي دعاء إبراهيم بالعكس؛ لاختلاف المراد بالتزكية فالمراد بالتزكية في الآيتين التطهير من الكفر. وفي دعاء إبراهيم المراد بها الشهادة بأنهم خيار أزكياء، وذلك متأخر عن تعلم الشرائع والعمل بها. انظر أبو حيان، محمد بن يوسف، (619/1)؛ الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (417/1)

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، (158/2)

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، (77/30)

(4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (582/7)

(5) انظر الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، (367/1)

(6) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (90/8)

ISSN: 2462-2508

إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ»[1]

– تزكية النفس سبب في ذوق حلاوة الإيمان قال رسول الله ﷺ: « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ[2] فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ وَلاَ الدَّرِنَةَ[3] وَلاَ الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ » فَقَالَ رَجُلٌ : مَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ :«يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ مَا كَانَ»[4]

– الحاجة الماسة إلى التزكية في هذا العصر الذي فتحت فيه أبواب الشبهات والشهوات على مصراعيها؛ مما يجعل من التزكية سياجًا مانعًا من الوقوع في شراكهما. لا سيما وأن النفس البشرية ظلومة جهولة، تميل بطبعها إلى الملذات والشهوات، وما تنشأ أمراض القلوب إلا من جهتها فلا بد من مخالفة النفس، وكبح جماحها، والإنكار عليها وعدم تلبية رغباتها؛ لأنها أمارة بالسوء، داعية إلى العصيان

يقول ابن القيم (ت:751ه): "وقد اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها وتركها بمخالفتها والظفر بها "[5] وقال الغزالي (ت:505ه): "اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية."[6]

المطلب الثاني: التعريف بسورة الإنسان.

– **القول في نزول السورة:** ذهب أكثر المفسرين إلى أن سورة الإنسان سورة مكية[7]، بل حكى ابن

(1) رواه الإمام أحمد في المسند، ح (7402)، ح (10106)؛ والترمذي في سننه، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ح (1162) وقال: حديث حسن صحيح؛ وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ح (4682) قال الأرنؤوط في تعليقه على سنن أبي داود: حديث صحيح.

(2) الرَّافِدَة فاعلة من الرَّفْد وهو الإعانة، يقال رَفَدْته أَرْفِدُهُ إذا أعنته أي تعينه نفسه على أداء الزكاة. ابن رسلان، أحمد بن حسين، شرح سنن أبي داود، (517/7)

(3) (الهرمة) وهي المسنة الكبيرة السن من كل حيوان (الدرنة) وهي المعيبة الردية كالجرباء. المرجع نفسه، (517/7)

(4) رواه أبو داود في سننه بأقل منه، كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة، ح (1582) وقال محققه: "حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات، لكن فيه انقطاع بين يحيى بن جابر وبين جُبير بن نفير. وقد جاء موصولاً من طرق عن عبد الله بن سالم – وهو الأشعري –، بذكر عبد الرحمن بن جبير بن نفير، وهو ثقة" أ.ه؛ ورواه الطبراني، سليمان بن أحمد في المعجم الصغير، ح (555)، (201/1)؛ والبيهقي أحمد بن الحسين في السنن الكبرى، ح (7351)، (50/8)؛ وفي شعب الإيمان، ح (3297)

(5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (75/1)

(6) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (416/4)

(7) يُنظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه،

ISSN: 2462-2508

تيمية –رحمه الله– الاتفاق على القول بمكيتها، وأنها نزلت قبل الهجرة.[1] وذهب آخرون إلى أنها سورة مدنية.[2] ومن المفسرين من ذهب إلى أنها مدنية باستثناء بعض آيات منها، عدّوها في القرآن المكي، وهي قوله﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان:24]، وقيل: من قوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ [الإنسان:23] إلى آخرها مَكّيٌّ.[3] وبالنظر إلى خصائص السورة، وميزاتها الموضوعية نجدها تحمل طابع القرآن المكي، وهذا ما يقوي القول بمكية السورة بأجمعها. قال ابن تيمية: "وهي على طريقة السور المكية في تقرير أصول الدين المشتركة بين الأنبياء، كالإيمان بالله واليوم الآخر، وذكر الخلق والبعث"[4] وقال ابنُ عاشور: "الأصح أنها مكية؛ فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سَنَن السور المكية."[5] وترتيب هذه السورة السادسة والخمسون في تعداد النزول، نزلت بعد سورة الرحمن. وعدد آياتها إحدى وثلاثون آية باتفاق.[6]

– أسماء السورة، ووجه تسميتها: تسمى هذه السورة بسورة الإنسان؛ لافتتاحها بذكر الإنسان وخلقه.[7] وهو الاسم الذي سميت به في المصاحف وكتب التفسير. ووردت تسميتها في عهد الصحابة رضي الله عنهم بمطلعها فكانوا يسمونها سورة (هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ) فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ»[8] وعن ابن عباس رضي الله عنهما " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: الم تَنْزِيلُ

(257/5)؛ المهدوي، أحمد بن عمار، التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، (558/6)؛ النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (408/6)؛ الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (739/30)؛ البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (269/5)؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (285/8)

(1) انظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، (553/8)

(2) حكاه الثعلبي، أحمد بن محمد، في الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (102/10) عن مجاهد وقتادة؛ وانظر الطيبي، الحسين بن عبد الله، في حاشيته على الكشاف، (178/16)؛ السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، (503/3)؛ الواحدي، التفسير الوسيط، (398/4)؛ الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، (665/4)؛ ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، (4/ 374)؛

(3) انظر الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، (161/6)؛ ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (380/5)؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (374/4)؛ الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (166/15)

(4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، (553/8)

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، (370/29)

(6) الداني، عثمان بن سعيد، البيان في عد آي القرآن، ص266؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (493/1)؛ المهدوي، أحمد بن عمار، التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، (558/6)

(7) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (493/1)

(8) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ح (891)؛ وكتاب الصلاة، باب سجدة تنزيل السجدة، ح (1068) ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة، ح (880)

ISSN: 2462-2508

الـ سَّجْدَة، وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْ سَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ "[1]، وبه عنون لها بعض المف سرين في م صنفاتهم.[2] في حين سماها آخرون بسورة (هَلْ أَتَىٰ) اختصارًا.[3] هذا وقد أشار ابن عا شور إلى ت سميتها ب سورة الدهر[4] في بعض المصـــاحف المخطوطة.[5] لورود هذا اللفظ فيها في قو له﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنســان:1] ومن أسماء الســورة كذلك ســورة الأمشاج[6] ؛ ووجه تسميتها بذلك ورود اللفظ فيها واختصاصها به إذ لم يرد في سورة غيرها.[7] وسورة الأبرار[8] لذكر نعيمهم فيها مف صلا، وإن لم تختص بذلك.

-ف ضائل الـ سورة: مما ورد في ف ضل هذه الـ سورة استحباب قراءتها في صلاة الفجر من يوم الجمعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ»[9] وعنه أيضًا « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الصُّـــبْحِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: بِالم تَنْزِيلُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى، وَفِي الثَّانِيَةِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْســـَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَـــيْئًا مَذْكُورًا »[10] وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَـــلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: الم تَنْزِيلُ الـ سَّجْدَةِ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْ سَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ،

(1) رواه مســـلم في صـــحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة، ح (879)

(2) انظر أبو عبـ يدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، (279/2)؛ الطبري، محـ مد بن جرير، جامع البـ يان في تأو يل القرآن، (85/24)؛ النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن، (62/5)، الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير عبد الرزاق، (373/3)

(3) انظر ابن الجوزي، زاد المـ سير، (374/4)؛ الخازن، لباب التأويل في مـ عاني التنز يل، (376/4)؛ البـ قاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناســـب الســـور، (259/8)؛ ومصـــاعد النظر، (143/3)؛ الفيروز آ بادي، بصـــائر ذوي التمييز في لـ طائف الكتاب العزيز، (493/1)؛ الألو سي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (166/15)

(4) وممن سماها بهذا الا سم ابن قتيبة، عبد الله بن مـ سلم في غريب القرآن، ص502؛ وابن العربي، محـ مد بن عـ بد الله في أحـ كام القرآن، (352/4)؛ والعكبري، عبد الله بن الحـ سين في التبيان في إعراب القرآن، (1257/2)؛ والنيســـابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (408/6)، وذكره البقاعي في نظم الدرر في تناســـب الســـور، (259/8)؛ ومصـــاعد النظر، (143/3)؛ والخفاجي في حاشـــيته على أنوار التنزيل، (284/8)؛ والفيروز آ بادي في بصـــائر ذوي التمييز في لـ طائف الكـ تاب العزيز، (493/1)

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (369/29)

(6) وبه سميت عند الخفاجي أحمد بن محمد في حا شيته على تف سير البيضاوي، (284/8)؛ والبقاعي، إبراهيم بن عمر في نظم الدرر في تنا سب الـ سور، (259/8)؛ والألو سي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (166/15)، والقاسمي، محمد بن محمد سعيد، في محاسن التأويل، (373/9)

(7) انظر الخفاجي، أحمد بن محمد في حا شيته على تفسير البيضاوي، (284/8)

(8) وبه سماها الطبر سي، الفضل بن الحسن، في مجمع البيان في تفسير القرآن، (157/10)؛ وذكره الألوســـي، محمود بن عبد الله، في روح المعاني، (166/15)، والقاسمي، محمد بن محمد سعيد، في محاسن التأويل، (373/9)

(9) سبق تخريجه، ص11.

(10) رواه مـ سلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة، ح (880)

ISSN: 2462-2508

وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ»[1] وحر صه ﷺ على قراءة هاتين السورتين؛ لا شتمالهما على ما كان من حوادث في ذلك اليوم كخلق آدم –عليه السلام– ؛ وما سيكون من المعاد ودخول الجنة والنار، تذكيرًا للأمة.[2] ومن فـ ضائل الـ سورة كذلك أنها إحدى سور المفصّل[3]، الذي فُضِّل به ر سول الله ﷺ على غيره من المرسلين، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «أعطيتُ مكان التوراة الســـبعَ[4]، وأعطيتُ مكان الزبور المئين، وأعطيتُ مكان الإنجيل المثاني[5]، وفضِّلت بالمفصَّل»[6]

مقـصود الـسورة: ذكر خلق بني آدم، وانقـ سامهم، ومآلهم يوم القيامة.

منا سبة الـ سورة لما قبلها وما بعدها: ترتبط سورة الإنسان بالسورة التي قبلها وفق الر سم القرآني وهي سورة القيامة من عدة أوجه، أولها: أن الله تعالى ذكر في سورة القيامة مبدأ خلق الإنسان، وأن أول مراحله كان من نطفة فقال ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة:37] ففهم أنه قبلها لم يكن شيئًا مذكورًا، وهو ما قرره نصًا في مطلع سورة الإنسان إذ قال ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:1]

ثانيها: "لما تقدم في آخر القيامة التهديد على مطلق التكذيب، وأن المرجع إلى الله وحده، والإنكار على من ظن أنه يترك سدىً والاستدلال على البعث وتمام القدرة عليه، تلاه أول هذه بالاســـتفهام الإنكاري على ما يقطع معه بأن لا يترك ســـدى"[7] ثالثها: "أجمل في سورة القيامة و صف حال الجنة والنار، ثم فصل أو صافهما في هذه السورة، وأطنب في و صف الجنة، كذا ذكر سبحانه في سورة القيامة الأهوال التي يلقا ها الفجار في يوم القيا مة، وذكر في هذه الـ سورة ما يلقاه الأبرار من النعيم."[8] رابعها: جاء في الســـورتين الكريمتين ذمّ من يحب الدنيا ويؤثرها على الآخرة، فورد في سورة القيامة قوله ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيـامـة:20-21] وفي ســـورة

(1) سبق تخريجه، ص11.

(2) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، (202/1)

(3) المفصل: بضم الميم وفتح الفاء ومهملة مشددة ويسمى المحكم، اختلف في أوله على أقوال، رجح النووي أن أوله الحجرات أما آخره فـ سورة الناس اتفاقا، وله طوال وأو ساط. سمي بذلك لأن سوره قصار وكل سورة كفصلٍ من الكلام. فيض القدير شرح ا لجامع الصـــغير، المناوي، (2/ 720،722)، ط1، المكتبة التجارية الكبرى– مصر، 1356ه.

(4) أي السبع الطوال.

(5) المثاني: وهي الـ سور التي آيها مئة أو أقل أو ما عدا الـ سبع الطوال إلى المفـ صل، سمي مثاني لأنها أثنت الـ سبع، أو لكونها قـ صرت عن المئين وزادت على المفـ صل أو لأن المئين جعلت مبادئ والتي تليها مثاني. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، (722/2)

(6) رواه الإمام أحمد في مـ سنده، (188/28)؛ والطبراني في المعجم الكبير، (75/22-76)، ح (186،187)؛ والبيهقي في شعب الإ يمان، (71/4، 108) برقم (2192، 2255)، كلهم من حديث واثلة مرفوعا به. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الـصغير وزياداته، (241/1)، ح (1939)، وقال الـشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده حسن.

(7) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (259/8)

(8) الزحيلي، وهبة بن مـ صطفى، التفـ سير المنير في العقيدة والـ شريعة والمنهج، (279/29)

ISSN: 2462-2508

الإنسان قوله ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴾ [الإنسان:27]

أما منا سبتها لما بعدها وهي سورة المر سلات: فمن جهتين أحدهما: أنه تعالى لما أخبر في خاتمة سورة الإن سان أنه يدخل من ي شاء في رحمته وأن الظالمين أعدّ لهم عذابًا أليمًا، افتتح سورة المر سلات بالقسم على أن ما يوعدون واقع، فكان ذلك تحقيقًا لما وعد به هناك المؤمنين، وأوعد الظالمين. والآخر: وصف الله -تعالى- في سورة الإن سان أحوال الكافرين في الآخرة بإيجاز، بينما و صف أحوال المؤمنين بإطناب وإسهاب، أمّا في سورة المرسلات فقد وصف أحوال الكافرين بإطناب وإسهاب بينما وصف أحوال المؤمنين بإ يجاز، مم ّا حقق ذ لك الاء تدال بين السورتين.[1]

المبحث الثاني: دوافع التزكية في سورة الإن سان، ووسائلها

المطلب الأول: دوافع التزكية.

أولًا: إدراك حقيقة الدنيا إن من أعظم الدوافع لتزكية النفس والترقي بها عن سفاسف الأمور، والعلو بها في مدارج السالكين للآخرة؛ العلم بحقيقة الدنيا وأنها دار فناء وغرور، وقد بيّن سبحانه وتعالى حقيقتها، وأخبر أنها كلها متاع، وأنها عرض زائل، بينما الآخرة هي دار القرار فقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام:32] وقال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:64]. فأبان بهذه الآيات "حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب، وإن الدار الآخرة هي الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد."[2] كما ضرب الحق -عز وجل- الأمثال بما يجلي هذه الحقيقة فقال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد:20]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:24] فحصر الدنيا في تلكم الأمور الخمس، فهي لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وزينة وتفاخر، وتكاثر في الأموال والأولاد، فهذه غايتها وغاية أهلها، ثم ضرب لها مثلا "بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلفها فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من

(1) انظر الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (301/29)

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (294/6).

ISSN: 2462-2508

مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن."[1] فمن عرف الدنيا وأدرك حقيقتها، جعلها معبرًا للآخرة، وكانت الآخرة همه، واتخذ ما يقربه إلى الله من الطاعات محط المنافسة والتكاثر، لا الأموال والأولاد الذين حذر سبحانه منهم بقوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:28] وأخبر أن الباقيات الصالحات وهي سائر الطاعات – واجبة كانت أم مستحبة– خير للعبد في الآخرة، ثوابًا وأجرًا ونفعًا فقال ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:46]. وجاء حديث النبي ﷺ مؤكدًا هذه الحقيقة، واصفًا الدنيا بما يبين حقارتها وتسارعها، وأنه لا ينخدع بها إلا مغرور فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث المستورد بن شداد ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِه – وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ – فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»[2] . وأخرج الترمذي في سننه من حديث عَبْد اللهِ بن مسعود قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِه، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً[3] فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[4] ، يقول ابن القيم: "فتأمل حسن هذا المثال ومطابقته للواقع سواء فإنها في خضرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئًا فشيئًا كالظل، والعبد مسافرًا الى ربه والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها دارًا ولا يتخذها قرارًا، بل يستظل بها بقدر الحاجة ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق."[5] فلا غرو –وقد أدرك ﷺ حقيقتها– أن يزهد فيها، ويكتفي من نعيمها بما يقيم أوده، من هنا كان من دعائه ﷺ "اللهم ارزق آل محمد قوتًا"[6] قال ابن بطال (ت:449ه): "فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك رغبةً في توفير نعيم الآخرة، وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى لتقتدي بذلك أمته، ويرغبوا فيما رغب فيه

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص841.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح (2858)، ج4 ص2193.

(3) الوطاء: الفراش اللَّيِّن. المظهري، الحسين بن محمود، المفاتيح في شرح المصابيح، ج2، ص282.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، ح (2377)، (166/4) وقال: حديث حسن صحيح. وكذلك اخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ح (4109)، (229/5)، والإمام أحمد في مسنده، ح (3709)، (556/3). والحديث صححه الأرنؤوط وأحمد شاكر.

(5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص232.

(6) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم، ح (6460)، (98/8) واللفظ له؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، ح (1055)، (730/2).

ISSN: 2462-2508

نبيهم ﷺ."[1] هذا وقد دعا الإسلام إلى اتخاذ الدنيا دار ممر للآخرة، ووسيلة للتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة على ظهرها، فقال تعالى مخاطبًا نبيه الكريم خطابًا متضمنًا النهى عن الإعجاب بالدنيا وزينتها، والرغبة فيها والميل إليها: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:131] أي لا تطل النظر استحسانًا ورغبة فيما متّع به هؤلاء المترفون من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابًا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها -بقطع النظر عن الآخرة- القوم الظالمون، ثم تذهب سريعًا، وتمضي جميعًا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارًا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملًا، وما وعد الله نبيه عليه الصلاة والسلام من رزق وثواب في الآخرة خير مما متع به هؤلاء في الدنيا؛ إذ أنه دائم لا انقطاع له ولا نفاد.[2] فتذييل الآية بقوله (وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) قصد به الترغيب فيما عند الله-تبارك وتعالى- من طيبات، قال السعدي (ت1376ه): "وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحًا إلى زينة الدنيا وإقبالًا عليها أن يذكّرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا."[3] فاللبيب يؤثر الباقي على الفاني، ويتخذ الدنيا مركب عبور لا مترل حبور، ويجعل نصب عينيه وصية الحبيب ﷺ لابن عمر رضي الله عنه «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[4]، حاديه قول الشافعي (ت:204ه):

إنَّ للَّهِ عِبَاداً فُطَنَا... تَرَكُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا

نظَروا فيها فَلَمّا عَلِموا... أَنَّها لَيسَت لِحَيٍّ وَطَنا

جعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذوا... صالِحَ الأَعمالِ فيها سُفُنا [5]

وفي سورة الإنسان ذكّر الله عباده بحكمة وجودهم في هذه الدنيا، وأنه إنما خلقهم ليبتليهم ويختبرهم فقال سبحانه ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:2] ومن أهل العربية[6] من جعل مناط الابتلاء كون الإنسان سميعًا بصيرًا، فجعل معنى قوله (فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا) أي أعطاه ما يصح معه الابتلاء، وهو السمع والبصر.[7] وتعقبه الطبري بقوله: "ولا وجه عندي لما قال يصحّ، وذلك أن

(1) ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، (177/10)

(2) انظر الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأو يل القرآن، (403/18)؛ المراغي، أ حمد بن مصـــطفى، تفســـير المراغي، (166/16)، ال سعدي، عبد الرحمن بن نا صر، تي سير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص516

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص516

(4) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر ســـبيل)، ح (6416)، (89/8).

(5) ديوان الإمام الشافعي، إعداد محمد سليم، ص145

(6) هو الفراء إذ قال: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه، فهذه مقدَّمة معناها التأخير، إنَّما المعنى: خلقناه وجعلناه سميعًا بصـــيرًا لنبتليه. معاني القرآن، (214/3)؛ وانظر الز جاج، م عاني القرآن وإعرا به، (257/5)

(7) النيســـابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (410/6)؛ الواحدي، التفسير البسيط، (15/23)؛ الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (741/30)

ISSN: 2462-2508

الابتلاء إنما هو بصحة الآلات وسلامة العقل من الآفات، وإن عدم السمع والبصر، وأما إخباره إيانا أنه جعل لنا أسماعًا وأبصارًا في هذه الآية، فتذكير منه لنا بنعمه، وتنبيه على موضع الشكر؛ فأما الابتلاء فبالخلق مع صحة الفطرة، وسلامة العقل من الآفة."[1] فتقرّر هذا في النفس، واليقين بأن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا موطن ابتلاء للعباد، ومحط زرعٍ وقت حصاده الآخرة، يجعل العبد قانعًا منها باليسير، راغبًا في الآخرة مشمرًا لها، هاجرًا كل ما يعوقه في سيره إليها، ناصبًا بدنه في طاعة الله تعالى، باذلًا غاية جهده أن يكون ممن زحزح عن النار وأُدخل الجنة. وفي قوله ﷻ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان7-8] ما يشير إلى زهد الأبرار في الدنيا، وانسلاخهم من نعيمها الفاني، يقول البقاعي (ت:885ه): "ولما كان من خاف شيئاً سعى في الأمن منه بكل ما عساه ينفع فيه، وكان قد ذكر تذرعهم بالواجب، أتبعه المندوب دلالة على أنهم لا ركون لهم إلى الدنيا ولا وثوق بها، فقد جمعوا إلى كرم الطبع بالوفاء ورقة القلب شرف النفس بالانسلاخ من الفاني."[2] أما الكافر فنهمته الحياة الدنيا، وجُلّ همه زخرفها، من هنا أنكر الله عليهم "ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم"[3] بقوله: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان:27]. وفي إيثار ذكر الدنيا بوصف العاجلة توطئة للمقصود من الذم؛ لأن وصف العاجلة يؤذن بأنهم آثروها لأنها عاجلة. وفي ذلك تعريض بتحميقهم؛ إذ رضُوا بالدون لأنه عاجل، وليس ذلك من شيم أهل التبصر، فقَولُه: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ واقع موقع التكميل لمناط ذمهم وتحميقهم؛ لأنهم لو أحبوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين.[4] كما أن في الآية إخبار منه "سبحانه عما يمنع العبد من إيثار ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة وهو حب العاجلة وإيثارها على الآخرة تقديما لداعي الحس على داعي العقل"[5]

ثانيًا: الإيمان باليوم الآخر وما أعده الله لمن زكّى نفسه من ثواب، ولمن دسّى نفسه من عقاب.

أوجب الله ﷻ على عباده الإيمان بالآخرة، وجعله أحد أركان الإيمان، بل أعظمها بعد الإيمان بالله تعالى؛ لذا قرن بينهما كثيرًا في كتابه الكريم ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:62] وقوله ﷻ ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ..﴾ الآية [البقرة:177] وقوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:114]. فمن كمال عدل الله ﷻ أن جعل هناك يومًا يحاسب فيه العباد على أعمالهم،

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (91/24)

(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (267/8)

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (294/8)

(4) انظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، (408/29)

(5) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، جامع الرسائل، (75/1)

ISSN: 2462-2508

يثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم، يومًا يحكم فيه بين العباد ويفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، يومًا ينتقم فيه من الظالم ويأخذ الحق للمظلوم قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:115-116] وقال سبحانه﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:36]. والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما ذكره الله في كتابه، وما صح عن النبي ﷺ مما يكون في ذلك اليوم من الحوض، والميزان، والشفاعة، والصراط، والجنة وما فيها من نعيم، والنار وما أعده الله لأهلها من عذاب وغير ذلك مما ذكر في الكتاب والسنة. روى اللالكائي (ت:418ه) بسنده عن أبي زُرعةَ وأبي حاتمٍ الرَّازِيَّانِ أنهما قالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويَمَنًا، فكان من مذهبهم... أنه تبارك وتعالى يُرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء. والجنة حق والنار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبدًا، والجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله عز وجل. والصراط حق، والميزان حق، له كفتان، توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق. والحوض المكرَّم به نبينا حق. والشفاعة حق، والبعث من بعد الموت حق."(1) وقال أبو عُثمانَ الصَّابونيُّ (ت:449ه): "يؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك، في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم، والمقام الهائل من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر، وغيرها."(2)

إن الإيمان بالآخرة وما فيها من وعد ووعيد من أكبر دوافع التزكية؛ فإن العبد متى آمن باليوم الآخر تأهب له، وأعدّ له عدته، فأكثر من الصالحات، وجدّ في الطاعات، وانزجر عن المعاصي، وكفّ عن السيئات، ومتى تأمل آيات ربه ووقف على ما أعده الله لأهل طاعته من نعيم، وأدرك أن النعيم لا يدرك بالنعيم، كبح جماح نفسه وألجمها بلجام التقوى، فكان إيمانه بالآخرة أعظم باعث له على الرغبة والرهبة والعمل؛ يقول السعدي: " العلم بذلك حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها."(3) وقد افتتحت سورة الإنسان بتقرير أنه قد مرّ على الإنسان دهر طويل لم يكن فيه شيئًا مذكورًا، إشارة إلى أنه كان عدمًا ثم أوجده الله تعالى بقدرته، فمتى تنبه لهذه الحقيقة وقف على قدرة الله وعظمته، وأدرك أن الذي أوجده من العدم قادر على أن يعيده مرة أخرى للحساب والجزاء. ففي الآيات

(1) اللالكائي، هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (319/1).

(2) الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص257.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص37

ISSN: 2462-2508

إثبات للبعث بعد الموت كما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:27] وقال سبحانه ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَينْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:50-51] ومتى آمن العبد بالبعث والجزاء أصلح العمل يقول السعدي: "إنّ الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلوب وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، اللذين هما أساس الخيرات."[1] كما ذكر الله تعالى في هذه السورة أن مما أوجب للأبرار دخول الجنات والتلذذ بما فيها من النعيم؛ أنهم كانوا في الدنيا ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان:7] خافوا أن ينالهم شر ذلك اليوم، ويطالهم عقابه؛ فتركوا كل سبب موجب لذلك، يقول ابن عاشور: "ووصف اليوم بأن له شرًا مستطيرًا وصفًا مشعرًا بعلة خوفهم إياه، فالمعنى أنهم يخافون شر ذلك اليوم فيتجنبون ما يُفضي بهم إلى شره من الأعمال المتوعد عليها بالعقاب"[2] وقال القاسمي (ت:1332ه): "وخوفهم من اليوم كناية عن عمل ما يؤمنهم فزعه وهوله من الصالحات."[3] وحينما آثروا غيرهم على أنفسهم مع حاجتهم، كان وازعهم خوفهم يومًا شديدًا مظلمًا، يومًا تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه وطول بلائه، فجادوا مع كونهم ذي مسغبة، وأطعموا المسكين واليتيم والأسير[4] ، قال تعالى في معرض ذكره صفات أولئك الأبرار ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:8-10] هكذا دفعهم إيمانهم بالآخرة وتفكرهم فيها إلى إحسان العمل.

ثالثًا: الجزاء من جنس العمل من القواعد العظمى التي قررها الله ﷻ في كثير من الآيات أن الجزاء من جنس العمل؛ قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:89-90] و قال سبحانه﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:46]، وقال ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:60]، و قال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:26].وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخير لا يأتي إلا بالخير»[5] ، وقال ﷺ: «أهلُ المَعروف في الدُّنيا هُم أهلُ المعروف فِي الْآخرَة، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنيا هُم أهلُ المُنكر في الآخرة»[6] فدلَّ الكتابُ والسُّنة

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص963

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (383/29)

(3) القاسمي، محمد بن محمد سعيد، محاسن التأويل، (376/9)

(4) قال القاسمي: ""وإنما اقتصر على الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم؛ فإن المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه. واليتيم مات من يعوله ويكتسب له، مع نهاية عجزه بصغره. والأسير لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة." المرجع نفسه، (375/9).

(5) جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله، ح (2842).

(6) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، ح (221)، (116/1)؛ وأخرجه الحاكم

ISSN: 2462-2508

في أكثر من مائة مَوضِـــعٍ على أنَّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، وهذا ثابت شرعًا وقدرًا.[1] قال ابن تيمية: "الثواب والعقاب يكونان من جنس العمل في قدر الله، وفي شـــرعه؛ فإن هذا من العدل الذي تقوم به السماء والأرض."[2] ومن شواهد هذه القاعدة أن الله تعالى بشّر خديجة -رضي الله عنها- ببيت في الجنة لانصب فيه ولا صخب[3] قال ابن حجر (ت:852ه): "قال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين، أعني المنازعة والتعب أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعًا فلم تحوجه إلى رفع صـــوت، ولا منازعة، ولا تعب في ذلك، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصـــفة المقابلة لفعلها."[4] فالإيمان بهذه القاعدة مما يزكي النفس؛ إذ يدفعها إلى الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله؛ ويجنبها الوقوع في السيئات، ويحملها على إدامة الطاعات، والمبادرة إلى التوبة النصوح، والاجتهاد في كثرة العمل الصالح؛ لما ترجو من الخُلْف وحســـن العاقبة وجزيل المثوبة في الأخرى. والمتأمل في آيات سورة الإنسان يجد أن الله قسم العباد إلى فريقين مؤمن شاكر، وكفور جاحد، قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[5] [الإنسان:3] والهداية ههنا بمعنى الإرشاد والدلالة، فإن الله عزوجل قد أرشـــد العباد وبين لهم طريق الخير وطريق الشر، وذلك بما أنزل من الكتب، وأرسل من الرسل، ونصب من الدلائل في الأنفس والآفاق، وبما جعل لهم من البصيرة التي يميزون بها بين الصادق والكاذب، وكلام الخلق وكلام الخالق، والحق والباطل وما أشبهه[6]، وترك لهم حرية الاختيار بين السبيلين فأيهما شاء العبد سلك. ثم أبان ﷻ الجزاء الذي أعده لكلا الفريقين كلًا بحسب عمله فقال ﷻ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:4-6] قال البقاعي: "ذكر جزاء كل قسم فقال -مستأنفاً جواب من يسأل عن ذلك- مبشراً للشاكر الذي استعد بعروجه في مراقي العبادات إلى ملكوت العلويات لرَوْح وريحان وجنة نعيم، ومنذراً للكافر الذي اســـتعد بالهبوط في

في المستدرك على الصحيحين، (465/4) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(1) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، (176/12)

(2) مجموع الفتاوى، (119/28)

(3) روى البخاري في صحيحه بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فَقَالَ: «هَذِهِ خَدِيجَةُ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ - أَوْ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ - فَأَقْرِئْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلاَمَ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ» صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، ح (7497).

(4) ابن حجر، علي بن أحمد العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (138/7)

(5) جمع بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة؛ نفيا للمبالغة في الشكر وإثباتا لها في الكفر؛ لأن شـــكر الله تعالى لا يؤدى، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فقل شـــكره، لكثرة النعم عليه، وكثر كفره وإن قل مع الإحســـان إليه. الماوردي، النكت والعيون، (164/6)

(6) ينظر البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناســـب الآيات والسور، (264/8)

ISSN: 2462-2508

دركات المخالفات إلى التقيد بالسفليات لتزل من حميم وتصلية جحيم"[1] لقد هيأ الله للكافرين سلاسلًا بها يقادون، وأغلالًا تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها، و سعيرًا بها يحرقون، أما الأبرار وهم الشاكرون –وإيرادهم بعنوان البر؛ للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنيّة، وزيادة في الثناء عليهم–[2] فلهم عند الله الجزاء الحسن؛ ذلك أن الله تعالى إذا قبل عمل العبد شكر له فأثابه خير الثواب وأحسنه. يقول السعدي: وأما الأبرار الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرت جوارحهم، واستعملوها بأعمال البر أخبر أنهم يشربون شرابًا لذيذًا من خمر قد مزج بكافور ليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور في غاية اللذة، قد سلم من كل مكدر ومنغص، موجود في كافور الدنيا. ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيرا، أنى شاءوا، وكيف أرادوا، فإن شاءوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلى أي جهة يرونها من الجهات المونقات.[3]

ويُلحظ أن الله تعالى أوجز في وصف ما أعده للكافر من عذاب بينما أطنب في وصف ثواب الأبرار؛ "تأكيداً للترغيب، فإن النفوس بعد كسر الوعيد لها تهتز لأدنى وعد وأقله فكيف بأتمه وأجله"[4] ومن ثَمّ فهذه الآيات تحمل العبد على أن يزكي نفسه بتجنب سبيل الكافرين، والتزام الحق وسلوك سبيل الشاكرين؛ رغبة في الثواب والنعيم المقيم، ورهبة من العقاب والعذاب الأليم؛ إيمانًا بأن الله تعالى سيجزيه وفق عمله كما قال سبحانه ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:74-76]

ومما يقرر أن الجزاء من جنس العمل في هذه السورة الكريمة أن الأبرار لما كانوا يخافون يوم القيامة، كما وصفهم الله بقوله ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان:7] وقوله ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ [الإنسان:10] جازاهم الله بأن وقاهم شر ذلك اليوم، وأمّنهم، فحالهم كما أخبر الله عنهم ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۖ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:103]. ولما قصدوا بإطعامهم الطعام وإتيانهم الطاعات طلب رضا الله، والخوف من القيامة؛ بيَّن أنه أعطاهم هذين الغرضين؛ أما الحفظ من هول القيامة فهو المراد بقوله: (فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ)، وأما طلب رضاء الله تعالى فأعطاهم بسببه نضرة في الوجه، وسروراً في القلب.[5] وحينما

(1) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (266/8)

(2) انظر أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (71/9)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (379/29)

(3) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص901

(4) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (266/8)

(5) ينظر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (218/30)

ISSN: 2462-2508

صبروا في الدنيا على طاعة الله تعالى، وعن معا صيه فتركوها مع داعي الهوى، وحبســـوا أنفســـهم عن التســـخط على أقدار الله المؤلمة؛ جازاهم الله بجنة لا كدر فيها ولا تنغيص. ولما امتنعوا عن لبس الحرير في الدنيا لحرمته عليهم[1] جازاهم الله بأن جعل لباسهم في الآخرة الحرير كما قال ســـبحانه ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنســـان:12] و قال (عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) أي عليهم ثياب من حرير رقيق أخضـــر اللون، ومن فوقها ثياب من حرير غليظ له بريق ولمعان.[2] قال ابن القيم: من ضـــيق على نفســـه بمخالفة الهوى، وســـع عليها في قبره ومعاده، فلما كان في الصـــبر الذي هو حبس النفس عن الهوى خشونة وتضييق، جازاهم على ذلك نعومة الحرير، وسعة الجنة.[3] ولما أنصب الأبرار أنفسهم في طاعة الله، واستفرغوا جهدهم في عبادته، كان من نعيمهم أنهم متكئين[4] في راحة ورفاهية على السرر المغطاة بقبة من الثياب الفاخرة، لا يرون في الجنة شمسًا ولا بردًا شديدًا، وقريبةً منهم ظلال أشجار الجنة، وسُهّل لهم قطف ثمارها تذليلًا، ويطاف عليهم بآنية من فضة، وأكواب صافية شفافة كالزجاج، وتلك الأكواب من فضـــة، وقد قدروا الأكواب على قدر أكفهم وكفايتهم، فلا تزيد ولا تنقص عن ذلك، ويسقون فيها خمرًا ممزوجة بزنجبيل، الزنجبيل من عين تسمى سلسبيلًا. ويطوف على الأبرار في الجنة – بالشراب أو غيره– أولاد صغار، إذا رأيتهم ظننتهم –لحسنهم وانتشارهم لخدمة الأبرار– لؤلؤًا مفرقًا، وإذا نظرت هناك في تلك الجنة أبصرت نعيمًا وملكًا عظيمًا، وأتم الله لهم النعيم فحلّوا أساور من فضة، وســـقاهم ربهم شـــرابًا طاهرًا مطهرًا لهم من كل أذى.[5] وحينما استكمل سبحانه وصف ما أعده لهم من نعيم قال﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان:22] "والمقصود من ذلك الثناء عليهم بما أسلفوا من تقوى الله وتكرمتهم بذلك وتنشيط أنفســـهم؛ بأن ما أنعم به عليهم هو حق لهم جزاء على عملهم."[6] قال ابن القيم "والعبد كلما وسع في أعمال البر وســـع له في الجنة، وكلما عمل خيرًا

(1) روى البخاري ومسلم واللفظ له في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لبس الحرير وافتراشـــه للرجال وقدر ما يجوز منه، ح (5832)، (150/7)؛ صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة الْعَلَمِ ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع، ح (2073)، (1645/3)

(2) انظر ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفســـير الكتاب العزيز، (413/5)؛ الرازي، مفاتيح الغيب، (754/30)

(3) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص480

(4) قال ابن عاشور: "الاتِّكاء: جلسة بين الجلوس والاضطجاع يستند فيها الجالس على مرفقه وجنبه ويمد رجليه وهي جلسة ارتياح، وكانت من شعار الملوك وأهل البذخ" التحرير والتنوير، (388/29)

(5) ينظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (100/24–107)؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفســـير القرآن العظيم، (291/8–292)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (137/19–145)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص901

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (401/29)

ISSN: 2462-2508

غرس له به هناك غراس، وبني له بناء، وأذ شئ له من عمله أنواع مما يتمتع به."[1] وقال أيضـــا: "فمن تنوعت أعماله المر ضية لله، المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار وتكثرت له بحســـب تكثر أعماله هنا، وكان مزيده بتنوعها والابتهاج بها والالتذاذ هناك على ح سب مزيده من الأعمال وتنوعه فيها من هذه الدار."[2]

المطلب الثاني: وسائل التزكية في سورة الإنسان.

أولًا: الإيمان بالله تعالى وهو أعظم و سيلة يزكي بها الإن سان نف سه؛ لما للإيمان به تعالى من أثر عظيم في صلاح القلب والجوارح؛ و سلوك سبيل الهدى والفلاح، والرقي بالعبد في مدارج الكمال الإن ساني يقول ابن تيمية: "القلب هو الأصـــل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بال ضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عمّا يريده القلب؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث ال صحيح: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَ سَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[3] ... فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملًا قلبيًا، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق."[4]

إن الإيمان يحمل صـــاحبه على الانتفاع بالمواعظ، والتذكير، والآيات، ومن ثمّ التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا؛ لأنه يوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، ومن كان كذلك انتفع بآيات ربه. قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:55] " فأخبر الله أن ا لذكرى تنفع المؤمنين؛ لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم ا لذكرى، وتقع الموع ظة منهم موقعها."[5] كما أن الإيمان الصـــادق الصـــحيح، يصـــحبه الحياء من الله، والحب له، والرجاء القوي لثوابه، والخوف من عقابه، ولا ريب أن هذه الأمور التي تصحب الإيمان تأمر صاحبها بكل خير، وتزجره عن كل قبيح. عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ»[6] ، فر تب الاســـتقامة –وهي ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات– على الإيمان بالله ســـبحانه. قال النووي (ت:676ه): "قال القاضـــي عياض –رحمه الله–: هذا من جوامع كلمه ﷺ وهو مطابق لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت:30] أي وحدوا الله وآمنوا به ثم اســـتقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته

(1) ابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، (47/1)

(2) ابن القيم، اجت ماع الجيوش الإســـلام ية على حرب المعط لة والجهمية، (83/2)

(3) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ف ضل من ا ستبرأ لدينه، ح (52)؛ و رواه م سلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ح(1599).

(4) مجموع الفتاوى، (187/7)

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص812

(6) رواه م سلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أو صاف الإسلام، ح (38)، (65/1)

ISSN: 2462-2508

سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك"[1] ، من هنا كان أول ما بعث به رسول الله ﷺ الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، فلما تمكن الإيمان من القلوب بدأت التكاليف الشـــرعية والأوامر الربانية. وحينما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن[2] أمره أن يدعوهم إلى التوحيد أولًا ومتى أجابوه لذلك يدعوهم لبقية الفرائض والتكاليف؛ حتى يصـــل بمن يدعوهم إلى الالتزام التام بأوامر الله عز وجل. وبالمقابل كان النهي عن الإشـــراك الذي هو نقيض التوحيد أولى وصـــايا لقمان لابنه؛ ذلك أن "النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيًا إلا مع ترك الشـــر، فإنه يدنس النفس ويدسيها"[3] قال ابن عاشور: "ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشـــرك بالله؛ لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليها عن مبادئ الفساد والضلال؛ فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل."[4] وقد امتنّ الله تعالى على الإنسان في مفتتح هذه السورة بإيجاده من العدم، فقال﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان:1] والبدء بالاستفهام، وهو استفهام تقريري توبيخي، موجَّه إلى غير معين، ومستعمل في تحقيق الأمر المقرر به على طريق الكناية؛ لأن الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما قرر به وذلك إيماء إلى اســـتحقاق الله أن يعترف الإنســـان له بالوحدانية في الربوبية إبطالاً لإشراك المشركين.[5] ثم ذكّر الله الإنسان بمبتدأ خلقه من النطفة ذات الأمشـــاج والأخلاط التي لم يزل الله بقدرته ولطفه وحكمته يُصرّفه عليها أطوارًا، وينقله من حال إلى حال إلى أن تمت خلقته، وكملت صورته، فأخرجه إنسانًا سويًّا سميعًا بصيرًا؛ لأن من أقر بتوحيد الربوبية، وعلم أنَّ الله سبحانه هو الرب، الخالق، المالك، المدبر وحده لا شريك له في ربوبيته، لزمه من ذلك الإقرار إفراد الله بالعبادة[6] وحده؛ ولا

(1) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (9/2)

(2) روى البخاري ومســـلم في صـــحيحهما من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»» صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ح(1458) وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ح(1496)، وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ، ح(7372)، صـــحيح مســـلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشـــهادتين وشـــرائع الإسلام، ح(19).

(3) مجموع الفتاوى، (629/10)

(4) التحرير والتنوير، (155/21)

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (371/29)؛ وانظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، (425/5)؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (70/9)

(6) العبادة تشمل فعل الواجب والمستحب، وترك المحرم والمكروه، بل وتشمل المباح مع النية فعلًا أو تركًا من جميع أعمال القلوب والجوارح؛ فكلها مع النية عبادات قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "فالمؤمن إذا كانت له نية أتت على جميع أفعاله، وكانت المباحات من صالح أعماله؛ لصلاح قلبه ونيته" السياسة الشرعية، ص159.

ISSN: 2462-2508

ريب أن عبادة الله تعالى من أعظم وسائل التزكية وأسناها؛ فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته.

ثانيًا: العلم. للعلم في الإسلام مكانته، فقد أثنى الله تعالى على العلماء، وجعلهم أهل الرفعة في الدنيا والآخرة فقال تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [من المجادلة:11]، كما نفى المساواة بين العالم وغيره بقوله ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُمَر:9]. وجاء الترغيب في سلوك طريق العلم فقد صح عنه ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[1] وغير ذلك من أدلة فيها التنويه بقدر العلم وفضل طلبه، وبمكانة أهله؛ لأنه لا سبيل لمعرفة الله ومراده ودلالات كتابه وسنّة نبيه إلّا بالعلم، والعلم مفتاح لكل خير، به يعرف الحق من الباطل، وهو وسيلة لأداء ما أوجب الله وترك ما حرم، وبه تصحح المفاهيم، وبه يعبد الله، وينشر دينه، وتحارب الأفكار الهدامة والدعوات المضللة والأنشطة المنحرفة، فأهل الباطل ينشطون عند اختفاء العلم وظهور الجهل، فما انتشرت دعوة باطلة، وفكرة منحرفة ووجد لها مؤيدين إلا كان المجتمع الذي نشرت فيه قد عمّه الجهل وغاب عنه نور العلم، فإن قام بينهم عالم بدينه مخلصًا نيته لله، سيكون أثره واضحًا، وسينتشر نور الحقيقة بين العباد بإذن الله تعالى.[2] فلا ريب أن يكون العلم من أهم الوسائل التي تزكو بها النفس، فهو يهذبها، ويلم شعثها، ويلقي بأحسن الحلل وأبهاها عليها، فترقى وتسمو. وهذا هو هدي النبي ﷺ مع أصحابه فقد كان يعلمهم العلم النافع[3] الذي تزكو به نفوسهم، فأثمر علمهم ثناء الله عليهم بقوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:100]، وقوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:29]، وامتداح الرسول ﷺ لهم بقوله «خَيْرُكُمْ قَرْنِي»[4] ؛ وما ذاك

(1) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح (2699).

(2) انظر ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة ابن باز، (4/59-60)

(3) إن العلم لا ينفع صاحبه، ولا تتحقق للنفس فضائله ما لم تتوافر فيه شرطان أولهما: أن يصحبه العمل الصالح مع الإخلاص لله ﷻ والتزام الآداب المطلوبة للعالم والمتعلم. ثانيهما: أن يتجنب المسلم المراء والخصام في مسائل العلم.

(4) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ح (2508)؛ وكتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ح (6064)؛ وكتاب الأيمان والنذور، باب إثم من لا يفي بالنذر، ح (6317)؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم ثم

ISSN: 2462-2508

إلا لإيمانهم وتلقيهم العلم للعمل به، والتزامهم آدابه، وتحليهم بفضائله روى الخطيب البغدادي (ت:463ه) عن مالك بن أنس ﷺ قال: قال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم. وعن مالك عن ابن شهاب أنه قال: إن هذا العلم أدب الله الذي أدّب به نبيه صلى الله عليه وسلم، وأدّب النبي صلى الله عليه وسلم أمته، أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدّى إليه، فمن سمع علمًا فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل.[1] إن العلم يحيي قلب صاحبه فقد حكي أن من وصايا لقمان لابنه قوله: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء.[2]

والازدياد من العلم –لا سيما العلم بالله وأسمائه و صفاته– يثمر خشية الله تعالى كما أخبر الله بذلك في قوله ﷻ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28]. والخشية المترتبة على المعرفة بالله حق المعرفة هي التي تحول بينك وبين معصية الله عزّ وجلّ، "ولذلك كانت العلامة التي يتميز بها أهل العلم النافع أنهم يتواضعون ولا يرون لأنفسهم حالًا ولا مقامًا، ويكرهون المدح وثناء الناس عليهم، ولا يتكبرون على أحد، وتراهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة، يواظبون على عبادة ربهم، وكلما ازدادوا علمًا ازدادوا تواضعًا لله وخشية وانكسارًا وذلًا له سبحانه."[3] وفي سورة الإنسان نبه الله تعالى على ما أنعم به على الإنسان ومنحه من أدوات العلم ووسائله؛ ليكتسب بها علمًا فقال ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:2] فالسمع والبصر هما الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الإنسان؛ ولهذا قرن الله تعالى بينهما وبين الفؤاد في مواضع من كتابه إذ هي الأدوات الثلاث الرئيسية في التعلم.[4] منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:36] وقوله ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78] يقول السعدي "خصّ هذه الأعضاء الثلاثة؛ لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة."[5] وقال ابن عثيمين (ت:1421ه): "فبين طرق العلم (السمع والبصر)؛ وبهما الإدراك، و(الأفئدة) و بها الوعي والحفظ."[6] ويلحظ أن الله

الذين يلونهم، ح (2535)

(1) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (78/1-79)

(2) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (8/1)

(3) ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص 128-129

(4) السمع: فيما محوره الكلمة، وطريقه النقل. والبصر: فيما يلاحظ ويشاهد ويجرّب، وعلى أساسه قامت العلوم الطبيعية والتجريبية كلها. والفؤاد أو العقل: فيما يحتاج إلى إعمال نظر، وترتيب فكر، للوصول من المقدمات إلى النتائج، ومن المعلول إلى العلة، ومن المعلوم إلى المجهول.

(5) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص445

(6) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (165/2)

ISSN: 2462-2508

تعالى وصف الإنسان بالسميع البصير بصيغة المبالغة؛ "لأن سمع الإنسان وبصره أكثر تحصيلاً وتمييزاً في المسموعات والمبصرات من سمع وبصر الحيوان، فبالسمع يتلقَّى الشرائع ودعوة الرسل، وبالبصر ينظر في أدلة وُجود الله وبديع صنعه."[1] حينما يعلم الإنسان منة الله تعالى عليه بمنحه السمع والبصر فإنه يقوم بحق هذه النعمة شكراً فيستعملها فيما يرضي الله؛ مما يكون سبباً في زيادة إيمانه وعلو مقامه، ويطلب بها ما خلقت لأجله من العلم النافع الذي يتكفَّل بتزكية النفس وتهذيبها، وتحليتها بالفضائل، وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية، العلم الذي يبلغ بالنفس كمال الإيمان، ويمنحها درجة الإحسان، والتخلق بأخلاق النبوة، العلم الذي يرفع الله تعالى صاحبه الدرجات في الدنيا والآخرة، ويحذر من ضد ذلك مما يكون وبالًا عليه قال الإمام ابن رجب الحنبلي (ت:795ه): "من فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي ﷺ وصار علمه وبالًا وحجة عليه، فلم ينتفع به؛ لأنه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسه من الدنيا، بل ازداد عليها حرصًا ولها طلبًا، ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه، وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه"[2]

ثالثًا: العمل الصالح والإحسان إلى العباد. إن من أعظم غايات العبادات التي شرعها الإسلام –وجوبًا أو استحبابًا– هو تزكية النفوس وتهذيبها والترقي بها نحو محاسن الأخلاق ومكارمها؛ بحيث يصير المسلم المقيم لفرائض الله تعالى من أحسن الناس أخلاقًا، وأنبلهم سلوكًا، وأكرمهم شيمًا فقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن أمهات العبادات كالصلاة والصيام وغيرها يحصل بها التزكية والتطهير، قال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:45] "ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها"[3]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ» قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا»[4] وعلل الله سبحانه وتعالى إيجابه الصوم بتحقيق التقوى فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:183]. وعند فرض الزكاة أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ من أموال المسلمين صدقة يطهرهم بها من دنس ذنوبهم، ويزكيهم بها، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (375/29)

(2) ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص122

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص632.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ح (528)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وتُرفع به الدرجات، ح (667)

ISSN: 2462-2508

أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:103]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "دليل على أن عمل الحسنات يطهر النفس ويزكيها من الذنوب السالفة."[1] وهذه المزية ليست خاصة بالعبادات التي هي أركان الإسلام، بل عموم الأعمال الصالحة والطاعات سواء أكانت واجبة أم نافلة يحصل بها التطهير، وتكون وسائل لتزكية النفوس دليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21] فأمر سبحانه بالعبادة وأوجبها؛ وعلل الأمر بتحصيل التقوى فقال (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أي "بعبادتكم ربَّكم الذي خلقكم، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه، وإفرادكم له العبادة؛ لتتقوا سخطه وغضبه أن يحل عليكم، وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم."[2]

ولما كانت طبيعة النفس البشرية كسلة عن الخير، نشطة إلى المعاصي، كان لابد من ترويضها ومجاهدتها، فالمؤمن يصبر نفسه على طاعة الله وإن أبت، ويرغمها على فعل الخير وإن كرهت، ويمنعها عن المعاصي والشهوات وإن أحبتها وألفتها، قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:65] فقوله (وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ) "أي اصبر نفسك عليها وجاهدها، وقم عليها أتم القيام وأكملها بحسب قدرتك، وفي الاشتغال بعبادة الله تسلية للعابد عن جميع التعلقات والمشتهيات."[3] روى الأصبهاني (ت:430ه) بسنده عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: "مَنْ نوى الصبر على طاعة الله صبّره الله عليها وقوّاه لها، ومَن نوى الصبر عن معاصي الله أعانه الله على ذلك وعصمه منها."[4]

وفي سورة الإنسان ذكر سبحانه أن من الأعمال التي أوجبت النعيم للأبرار كونهم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:7-8] وهي أعمال جامعة لكل أعمال الخير والبر قال الرازي (ت:606ه): "فيه أنّ مجامع الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله (يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ)، والشفقة على خلق الله وإليه الإشارة بقوله (وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ)"[5] فجمع الأبرار بين نوعي الإحسان فأحسنوا في عبادة ربهم، وأحسنوا إلى العباد. وقد نبه سبحانه في قوله (يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ) بالأدنى على الأعلى فذكر سبحانه الوفاء بالنذر منبهًا على الوفاء بما هو فوقه وأوجب منه؛ ذلك أن النذر أضعف الواجبات؛ فإن العبد هو الذي أوجبه على نفسه بالتزامه فهو دون ما أوجبه الله سبحانه عليه، فإذا وفّى لله بأضعف الواجبين الذي التزمه هو فهو بأن يوفى بالواجب الأعظم الذي أوجبه الله عليه أولى وأحرى.[6] كما نبه في قوله ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ

(1) مجموع الفتاوى، (635/10).
(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (364/1)
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص498
(4) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (163/6)
(5) الرازي، مفاتيح الغيب، (215/30)
(6) ينظر ابن تيمية، جامع الرسائل، (71/1)؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، (426/5)؛ أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، (388/8)

ISSN: 2462-2508

حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:8] بالأعلى على الأدنى، فذكر من حقوق العباد بذل قوت النفس على نفاسته و شدة الحاجة؛ تنبيهًا على الوفاء بما دونه، فأخبر عن إطعامهم الطعام على محبتهم له، وذلك يدل على نفاسته عندهم، وحاجتهم إليه، وما كان كذلك فالنفوس به أشحّ، والقلوب به أعلق، واليد له أمسك، فإذا بذلوه في هذه الحال فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل.[1]

إن الأبرار لما زكّوا أنفسهم بالطاعة ولّدت التزكية نفسًا خيرة تفعل الخير، وتأمر به، وتحض عليه، يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [من آل عمران:110]: "يعني خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس"[2] وهذا ما تجلى في إخباره تعالى عن الأبرار أنهم يطعمون الطعام بعد إخباره عن وفائهم بالنذر. وفي معرض تثبيت الرسول ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وأمره بالصبر في تبليغ الرسالة أرشده الله تعالى إلى الاستعانة على ذلك بجملة من العبادات والأعمال الصالحة، إذ أنها أكبر معين للنفس على التشوف للآخرة وابتغاء ثوابها، ومن تلكم الأعمال الصالحة الذكر، والصلاة، والتسبيح فقال سبحانه ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ[3] وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾ [الإنسان:24-26] يقول ابن تيمية: "ولما كان لا سبيل إلى الصبر إلا بتعويض القلب بشيء هو أحب إليه من فوات ما يصبر على فَوْته، أمره بأن يذكر ربه سبحانه بكرة وأصيلًا؛ فإن ذكره أعظم العون على تحمل مشاق الصبر، وأن يصبر لربه بالليل فيكون قيامه بالليل عونًا على ما هو بصدده بالنهار، ومادة لقوته ظاهرًا وباطنًا ولنعيمه عاجلًا وآجلًا."[4]

رابعًا: الإخلاص ومعناه أن يقصد العبد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة، فيصفي عمله عن ملاحظة المخلوقين، وحظوظ النفس، فأساس الإخلاص أن "لا يمازج عمل الإنسان ما يشوبه من شوائب إرادات النفس، إما طلب التزين في قلوب الخلق وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم أو طلب تعظيمهم أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه أو طلب محبتهم له أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ما كان."[5] قال الصفاقسي (ت:1118ه): "قال أبو عبد الله الأنطاكي: من طلب الإخلاص في أعماله الظاهرة وهو يلاحظ

(1) ابن تيمية، جامع الرسائل، (72/1) بتصرف.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (93/2) وعزاه إلى ابن عباس، ومُجاهد، وعِكْرِمة، وعَطاء، والربيع بن أنس، وعطية العَوْفيّ.

(3) خص صلاة الليل؛ لما فيها من مزيد الكُلفة والخُلُوص، ومزيد الفضيلة؛ لأن الالتفات فيه إلى جانب الحق أتم، لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس وأصواتهم، وسائر الأحوال الدنيوية، فكان أبعد عن الرياء، وكان الخشوع فيه واللذة التامة بحلاوة العبادة أوفى. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (274/8)، وانظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، (272/5)؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (76/9).

(4) ابن تيمية، جامع الرسائل، (75/1)

(5) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (93/2)

ISSN: 2462-2508

الخلق بقلبه؛ فقد رام المحال."[1] وقد أمر الله تعالى بالإخلاص بقوله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة:5]؛ لكونه سببًا في حفظ العبد من إغواء الشيطان وتسلطه دليل ذلك قوله تعالى﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [ص:82-83]وهم "الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته، فأخلصوا قصدهم لها."[2] و بالإخلاص يتحرر العبد من مساوئ الأخلاق كالحقد والغل فعن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ [3] قَلْبُ الْمُؤْمِنِ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَطَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[4]

إن المخلص بإخلاصه ساع في تزكية نفسه وتربيتها بما يكون سببًا في فكاكها و فلاحها، فهو يغمط نفسه في جنب الله وإن أحسنت فلا يغتر بعمله، ولا تعجبه نفسه، يعلم شأن الإرادات والمقاصد والنيات وعظيم أثرها، فيتعاهد النية يمحصها، ويحسن الطوية؛ لعلمه أن قبول عمله موقوف على صلاح نيته، ويقينه أن ليست العبرة بكثرة العمل إنما بصوابه مع حسن القصد فيه قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [هود:7]، يقول الفضيل بن عياض (ت:187ه) في بيان معنى قوله: (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة.[5] لا يحب المخلص ثناء الناس ومحمدتهم؛ خوف الرياء أن يتسلل إلى قلبه، إن بدرت منه معصية خشي ألا تغفر، ولا يتكل على ما عمل من الطاعات والعبادات؛ خشية ألا تقبل؛ لعلمه بربه، وما يستحقه من أصناف العبادات. سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عمن يصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:60] أهم الذين يسرقون ويزنون ويشربون الخمر وهم يخافون الله عز وجل؟ فقال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصلون

(1) الصفاقسي، علي بن محمد، غيث النفع في القراءات السبع، ص656

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (407/6)

(3) أي أن هذه الثلاث خصال لو تمسك بها العبد طهُر قلبه من الحقد والغل. قال السندي: "دوام المؤمن على هذه الخصال لا يُدخل في قلبه خيانة أو حقدًا يمنعه من تبليغ العلم، فينبغي له الثبات على هذه الخصال" حاشية السندي على ابن ماجة، (111/6)

(4) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب مَن بلّغ علمًا، ح (230)؛ والإمام أحمد في المسند، ح(21630)؛ والترمذي في سننه، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ح(2658)؛ وابن حبان في صحيحه، باب ذكر رحمة الله جل وعلا، مَن بلغ أمة المصطفى ﷺ حديثًا صحيحًا عنه، ح(67،68). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح.

(5) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (91/27)؛ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تفسير القرآن الكريم، ص78

ISSN: 2462-2508

ويصـــومون ويتصـــدقون، وهم يخافون ألا يتقبل منهم.»[1] يتجلى الإخلاص في سورة الإنسان في إطعام الأبرار الطعام أولى الناس وأحوجهم ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنســـان:8] يقول ابن رجب: "حب المساكين مستلزم لإخلاص العمل لله تعالى، والإخلاص هو أساس الأعمال الذي لا تثبت الأعمال إلا عليه، فإن حب المساكين يقتضي إسداء النفع إليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا، فإذا حصل إسداء النفع إليهم حبًا لهم، والإحسان إليهم كان هذا العمل خالصـــاً."[2] وكما أثبت أولئك الأبرار الإخلاص لأنفسهم بفعلهم، أثبتوه بقولهم (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ) أي: لطلب ثواب الله ورجاء جزائه ورضاه، قائلين ذلك في أنفسهم بلسان الحال لما يظهر عليهم من أمارات الإخلاص. قال الألوســـي (ت:1270ه): "عن مجاهد: أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فأثنى به عليهم أيرغب فيه راغب، أو بلسان المقال دَفْعًا وإزاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر."[3] ثم حققوا إخلاصهم "بنفي ما يغير فيه، وفسروه لما لا يكون إلا به فقالوا (لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً) لنا من أعراض الدنيا (وَلَا شُكُورًا) بشيء من قول ولا فعل، وكأنه اختير هذا المصـــدر المزيد ...إيماء إلى أن المنفي ما يتكلف له، وأما مثل المحبة والدعاء فلا، ولو أرادوا شـــيئًا من ذلك لما كان لله"[4] يقول ابن تيمية: "والإخلاص في الصدقة ألا يسأل عوضها دعاء من المعطى، ولا يرجو بركته وخاطره، ولا غير ذلك من الأقوال."[5] وحينما أخبر الله تعالى عن الأبرار أنهم (يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ) عطف عليه قولُه: (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا)؛ "لأنهم لما وصفوا بالعمل بما ينذرونه أتبع ذلك بذكر حسن نيتهم وتحقق إخلاصـــهم في أعمالهم، لأن الأعمال بالنيات فجمع لهم بهذا صـــحة الاعتقاد وحســـن الأعمال."[6] ومعلوم أن الأعمال والأقوال إنّما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والإخلاص.

إن المتأمل لما ذكره تعالى في هذه السورة من وصف للأبرار، وما أعده لهم من النعيم يجد أنهم ما حازوا الذي حازوه من الثناء والنعيم إلا بصالح أعمالهم التي أخلصوها لله تعالى قال ابن بطّة: "اعلموا –رحمكم الله– أن الله عز وجل لم يثن على المؤمنين ولم يصف ما أعد لهم من النعيم المقيم والنجاة من العذاب الأليم، ولم يخبرهم برضاه عنهم؛ إلا بالعمل الصالح، والســـعي الرابح، وقرن القول بالعمل، والنية

(1) رواه ابن ماجة في سننه، باب التوقي على العمل، ح (4198)؛ والإمام أحمد في مسنده، ح (25263)؛ والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة المؤمنون، ح (3175)؛ والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ح (3486)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(2) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص95.

(3) الألوســـي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفســـير القرآن العظيم والسبع المثاني، (172/15)

(4) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناســـب الســـور، (138/21)

(5) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (434/5)

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (383/29)

ISSN: 2462-2508

بالإخلاص."[1]

خامسًا: التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام

لاريب أن من أعظم أساليب الرقي بالنفس في مقام التزكية الاقتداء بالنبي ﷺ واتخاذه أسوة، كيف لا وقد حاز رسول الله ﷺ من الفضائل أكملها وأسناها، ومن الأخلاق أعلاها وأسماها فاستحق أن يثني عليه ربه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]، وأمر أمته بالتأسي به والاقتداء بسنته فقال ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21] "فهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"[2] وقال السعدي: "واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دلّ الدليل الشرعي على الاختصاص به."[3] بل إن إحدى مقاصد بعثته -عليه الصلاة والسلام- تزكية الأمة، وتطهير النفوس قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:164]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2]. وليس القصد خلق التزكية في القلوب، إنما دلالتهم على ما تزكو به نفوسهم، فينميهم بالخير والتربية على الأعمال الصالحة، وحثهم على الأخلاق الجميلة، ويطهرهم من الكفر والمعاصي والرذائل وسائر الخصال الذميمة.[4] يقول ابن القيم: "فإن تزكية النفوس مسلّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولّاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليمًا وبيانًا، وإرشادًا، لا خلقًا ولا إلهامًا"[5] فلابد للمسلم أن يسعى في تزكية نفسه، وتربيتها، والرقي بها في جانب الإيمان، والعمل، والأخلاق بالسير على نهج نبيه ﷺ، والتأسي به ظاهرًا وباطنًا، والاقتداء به قولًا وعملًا.

وفي ثنايا هذه السورة خاطب الله تعالى نبيه آمرًا إياه بالصبر بعد المنة عليه بإنزال القرآن الكريم "وفي هذا إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر"[6]. وعليه لابد لأهل القرآن من التأسي بنبيهم ﷺ، والصبر على ما يلقون في سبيل الدين، والدعوة إليه كما أمرهم بذلك ربهم بقوله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]. كما دلهم الله -بطريق الأسوة- على ما يكون حصنًا منيعًا أمام ما يعترضهم من الشبهات والشهوات، فإن المتتبع لسيرته ﷺ يعلم أنه ما كان يطيع أحدًا من المشركين فيما كانوا يدعونه إليه "مثل أن يترك قرعهم بقوارع

(1) ابن بطة، عبيد الله بن محمد العُكْبَري، الإبانة الكبرى، (778/2)

(2) تفسير القرآن العظيم، (391/6)

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص660

(4) ينظر ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (212/1)، المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، (217/1)؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص66

(5) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (300/2)

(6) ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح ثلاثة الأصول، ص24

ISSN: 2462-2508

التثريل من تأفين[1] رأيهم وتحقير دينهم وأصنامهم"[2]، ولن يكون ما عرضوه عليه من المصاهرة لهم، أو بذل المال منهم صارفًا له عمَّا هو قائم به من الدعوة، ففهم أن المقصود من قوله ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ [الإنسان:24] "بيان أن الناس محتاجون إلى مواصلة التنبيه والإرشاد؛ لأجل ما تركب فيهم من الشهوات الداعية إلى الفساد، وأن أحداً لو استغنى عن توفيق الله وإمداده وإرشاده لكان أحق الناس به هو الرسول المعصوم، ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم أنه لا بد له من الرغبة إلى الله، والتضرع إليه أن يصونه عن الشبهات والشهوات"[3]

سادسًا: الاتعاظ بمواعظ القرآن. فالقرآن الكريم أعظم ما يزكي النفوس ويصلح القلوب؛ لأن فيه شفاءها من الشهوات والشبهات، ودواء أمراضها من العقائد الفاسدة، والجهالات المهلكة، والأخلاق الذميمة، بما حواه من المواعظ والزواجر، والترغيب والترهيب، والتحذير والتذكير قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:57] يقول ابن القيم: "فالقرآن شفاء لما في الصدور من مرض الجهل والغي؛ فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى، والغي مرض شفاؤه الرشد."[4] وقد عظم الله تعالى شأن القرآن، ومثل لعظمته وعلو قدره وشدة تأثيره في النفوس؛ لما فيه من بالغ المواعظ والزواجر، ولما اشتمل عليه من الوعد والوعيد بقوله ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21]، فإن القرآن لو أُنزل على جبل من الجبال، وجُعل لهذا الجبل عقل كما جعل للبشر، لرأيت الجبل -مع كونه في غاية القسوة والصَّلابة- خاشعًا متصدعًا من خشية الله. يقول الشيخ السعدي: "فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله أي؛ لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد."[5] هذا وقد أمر الله تعالى بتدبر القرآن، وجعل مقصود إنزاله جمع الفكر على تدبره وتعقله فقال ﷻ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:82]، وقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:29]؛ فإن التفكر في آيات الكتاب، والتدبر لمعانيه أنفع ما يكون للعبد؛ فإنه "يفتح له خزائن العلم، ويبين له طرق الخير والشر، ويحثه على

(1) أي تضعيف رأيهم وتنقيصه وتحقيره. يقال أُفِنَ الرَّجُل أَفْناً فهو مأفون، أي أحمق، لا رأي له يُرجع إليه. والأفن: النقص والتحقير، والمأفون: الذي لا عقل له. وأصله من الأفن وهو أن يستخرج ما في الضرع من اللبن. انظر ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ، ص136؛ الخليل بن أحمد، كتاب العين، (378/8).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (403/29)

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، (227/30)

(4) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (15/1)

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص358

ISSN: 2462-2508

مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق"[1] وهو سبيل تزكية النفس والعروج بها في مقام العبودية؛ فكل آيات القرآن إمّا مرشدة إلى خير، أو صارفة عن شر وفساد، يقول ابن القيم: "لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والانابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله."[2] وقد جاء في سورة الإنسان المنة على النبي ﷺ بإنزال القرآن فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان:23]؛ لاشتماله على ما العباد بحاجة إليه من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم. قال القرطبي: "لما ذكر أصناف الوعد والوعيد، بين أن هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة إليه، فليس بسحر ولا كهانة، ولا شعر، وأنه حق."[3] كما ذكر أن في آيات هذه السورة تذكير للناس؛ ليتعظوا بها ويعتبروا، فمن شاء سلك طريقًا يتقرب به إلى الله تعالى، بالإيمان به، والتوبة إليه، وطاعته فقال سبحانه ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[4] [الإنسان:29] قال الرازي: "إن هذه السورة بما فيها من الترتيب العجيب، والنسق البعيد، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، تذكرة للمتأملين وتبصرة للمستبصرين، فمن شاء الخيرة لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ إلى ربه سبيلاً "[5] وقال ابن عاشور: "أطلقت التذكرة هنا على الموعظة بالإقلاع عن عمل سيئ والإقبال على عمل صالح، وعلى وضوح الخير والشر لمن تذكر -أي تبصّر- بتشبيه حالة المعرض عن الخير المشغول عنه بحالة الناسي له؛ لأن شأنه ألا يفرّط فيه إلاّ من كان ناسياً؛ لما فيه من نفع له. وفرع عليه الحث على سلوك سبيل مرضاة الله بقوله: (فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا)، أي ليس بعد هذه التذكرة إلاّ العمل بها إذا شاء المتذكر أن يعمل بها، ففي قوله: (فَمَن شَآءَ) حثّ على المبادرة بذلك؛ لأن مشيئة المرء في مُكْنته فلا يمنعه منها إلاّ سوء تدبيره"[6]

خاتـــمة البحث

الحمد لله فاتحة كل خير، وخاتمة كل نعمة، أحمده تعالى بما منّ به عليّ من العون والتوفيق لإتمام هذا البحث، وبعد الحديث عن موضوع التزكية، وتتبع سورة الإنسان، والوقوف على معاني آياتها المتعلقة بهذا الموضوع أخلص إلى عدد من النتائج منها:

-ترتكز تزكية النفس على أمرين عظيمين، أحدهما تطهير النفس وترقيتها والسّـــمو بها من رذائل الأخلاق، والآخر العمل بالطاعات والقربات

(1) المرجع نفسه، ص854

(2) ابن القيم، مفتاح دار الســـعادة ومنشـــور ولاية العلم والإرادة، (187/1)

(3) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (148/19)

(4) شُبهت أفعال الطاعة وكل ما يتقرب به العبد إلى ربه للفوز بجنته بالطريق الذي يهتدي إليه السالك للوصول إلى مقصده بجامع الاهتداء إلى ما يحقق الغاية المنشودة في كلٍ. وكأن أفعال الطاعات وعمل الصالحات هي سبيل العبد الذي يريد التقرب إلى مولاه والفوز بجنته ورضاه.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب، (230/30)

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (411/29)

ISSN: 2462-2508

والفضائل.

-فلاح الإنسان متعلق بتزكيته نفسه، وهي سبب في ذوقه حلاوة الإيمان.

-ظهور الحاجة إلى تزكية النفس في هذا العصر الذي تموج فيه الفتن، وتكثر الشهوات والشبهات.

- ترجّح القول بمكية سـورة الإنسـان من خلال موضوعات السورة وأسلوبها.

-العلم بحقيقة الدنيا يزهّد العبد فيها، و يدفعه إلى تزكية نفسه للفوز بنعيم الآخرة.

-من دوافع التزكية التي حوتها سورة الإنسان الإيمان بالآخرة، و ما فيها من و عد ووعيد، واليقين بأن جزاء العبد فيها من جنس عمله.

-أول و سيلة يزكّي بها الإ نسان نف سه إيمانه بالله تعالى.

-من وسائل التزكية الظاهرة في سورة الإنسان العلم النافع، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله.

-تجلّى الإخلاص -الذي هو أحد و سائل التزكية- فيما ذكره الله تعالى من صفات للأبرار.

-من سعى لتزكية نف سه فليقتد بر سول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله.

-جاء في سورة الإنسان الحث على الاتعاظ بمواعظ القرآن؛ كونه من وسائل تزكية النفس والترقي بها في مقام العبودية.

ومن التو صيات التي يو صى بها: تفعيل قراءة النص القرآني، وتتبع هدي الآيات، وا ستنباط ال سبل التي تحقق للنفس تزكيتها؛ بما يحقق فلاحها ويرقى بها في مدارج العبودية لله تعالى.

ISSN: 2462-2508

المصادر والمراجع:

- البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى 256ه)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

- ابن بطال، علي بن خلف (المتوفى: 449هـ)، شرح صحيح البخاري (تحقيق: ياسر بن إبراهيم)، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م.

- ابن بطة، عبيد الله بن محمد العُكْبَري (المتوفى: 387هـ)، الإبانة الكبرى (تحقيق: رضا معطي)، دار الراية للنشر والتوزيع-الرياض، الطبعة: الثانية، 1415هـ - 1994م.

- البقاعي، إبراهيم بن عمر (المتوفى 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ - 1995م، ط.د.

- الترمذي، محمد بن عيسى (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي (تحقيق: بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط.د، 1998م.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى 728ه)، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز وآخرون، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ- 2005م.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل (تحقيق: أحمد شاكر)، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995م.

- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى 745ه)، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (المتوفى: 463هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (تحقيق: د. محمود الطحان)، مكتبة المعارف - الرياض، د.ط، د.ت.

- الداني، عثمان بن سعيد (المتوفى:444ه)، البيان في عد آي القرآن، تحقيق غانم الحمد، ط1، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، 1414ه-1994م.

- أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود (تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، مَحَمَّد بللي)، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.

- الرازي، محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ -2000م.

- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (تحقيق: جسم الفهيد الدوسري)، مكتبة دار الأقصى - الكويت، الطبعة: الأولى، 1406ه-

ISSN: 2462-2508

1985م.

- ابن رسلان، أحمد بن حسين المقدسي (المتوفى: 844 هـ)، شرح سنن أبي داود (تحقيق: عدد من الباحثين)، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1437هـ - 2016م.

- الزجاج، إبراهيم بن السري (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه (تحقيق: عبد الجليل شلبي)، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تحقيق: عبد الرحمن اللويحق)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (المتوفى: 244هـ)، كتاب الألفاظ (تحقيق: فخر الدين قباوة)، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، 1998م.

- سليم، محمد إبراهيم، ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، مكتبة ابن سينا، مصر-القاهرة، ط. د، ت.د.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (المتوفى: 790هـ)، الموافقات (تحقيق: مشهور آل سلمان)، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417هـ- 1997م.

- ابن الضريس، محمد بن أيوب (المتوفى: 294هـ)، فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة (تحقيق: غزوة بدير)، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.

- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير، دار الكتب العلمية-بيروت، 1403ه-1983م.

- الطبري، محمد بن جرير (المتوفى 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى 1393هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، 1997 م، ط.د.

- عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، معالم في السلوك وتزكية النفوس، دار الوطن- الرياض، الطبعة: الأولى، 1414ه.

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

- الفراء، يحيى بن زياد (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن (تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون)، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى، د.ت.

-ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، غريب القرآن (تحقيق: أحمد صقر)، دار الكتب العلمية،1398هـ - 1978م.

- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي- بيروت، 1405 هـ -

1985م، ط.د.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (المتوفى751ه)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة، ط.د، ت. د.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (المتوفى751)، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1415ه.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (المتوفى: 751هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409هـ- 1989م.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (المتوفى 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ - 1996م.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:774ه)، تفسير القرآن العظيم (تحقيق: سامي سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.

- اللالكائي هبة الله بن الحسن الرازي (المتوفى: 418هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (تحقيق: أحمد الغامدي)، دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423هـ / 2003م.

- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون)، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.

- المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م.

- المُظْهِري الحسين بن محمود، (ت: 727 هـ)، المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، 1433هـ - 2012م.

- النحلاوي عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون، 2007م.

- النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تحقيق: الشيخ زكريا عميران)، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م.

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (المتوفى 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط.د، ت.د.